



طبائع الاستسهال

خبز وألعاب. كلمة الكاتب اللاتيني الساخر جوفينال في وصف اهتمامات مواطنيه الرومان واحتقار طبائعهم هي اول ما يتبادر الى الذهن امام هجمة برامج المسابقات التلفزيونية. لكن التشبيه لا يصمد طويلاً امام امتحان العصرنة اللبنانية. اولاً لأن الخبز لم يعد متاحاً بوفرة، بل صار موضع تسابق في زمن الكساد وبانتت الالعب مدخلاً اليه. وثانياً لان ما يدعى الجمهور الى التلهي به هو المعرفة او ما يسمى "الثقافة العامة" وليس ألعاب المصارعة كما في السيرك الروماني.

من اين يأتي الجمهور بهذه المعرفة؟ اكيد ليس من التلفزيون، وتلك اولى المحاسن في هذه البرامج. فكأن التلفزيون يريد ان يقول لمن يريد ان يربح المليون انه لن يحصل على وزنه ذهباً اذا لم ينصرف عن الشاشة وقتاً كافياً لتحصيل المعرفة التي من دونها يقضي مقتولاً. اذا، هناك الكثير من الوقت المهدور من وجهة النظر التجارية. لذا، يفترض ان تكون الخطوة التالية في اتجاه تأمين العديد من برامج التثقيف. هكذا، يستطيع المتسابقون تهيئة انفسهم للمبارزات المعرفية من دون ان يبارحوا التلفزيون، ويكون الجميع قد استفاد. لا، بعد التفكير، الاقتراح سيئ، لا تردده.

فلو سمع به مسؤول التسطيح التلفزيوني عندنا، وهو لم يرتح بعد من عناء غسل شاشته من الهموم الثقافية، لسارع الى تطبيقه على ذوقه. تصوروا: ألعاب تمتحن معارف المشاهدين في ألوان فساتين راكيل وماريا مرسيديس (هل تذكرن؟)، في مشاهد "كليبات" المحطة (المشهد السابع في "كليب" العيد الحادي عشر، هل صور في بورا بورا، في سيدي بو سعيد ام في فتقا؟)، في اسماء الممثلين المدبلجين، في اسماء المرشحات للقب ملكة جمال اميركا الوسطى، او في عدد المتصلين عبر الهاتف بمعالى وزير الثبات والريادة في حلقته ما قبل الاخيرة من العام الماضي (ونذكر المتبارين الاعزاء من باب المساعدة انها الحلقة السابعة والخمسون من اصل ست وستين)... ليست المشكلة في برامج الالعب في ذاتها، والظاهرة في الاصل عالمية.

فمعظم هذه البرامج هي نسخ معرّبة من منتوجات اميركية او اوروبية واحياناً اوسترالية، تمتت أقمتهما في كل دول العالم. ولعل احد دلائل تقدّم الصناعات الاتصالية العربية يكمن في كون تلفزيونات الضاد صارت تشتري حقوق هذه البرامج بدل قرصنتها. بل راحت تتبارى في ما بينها للحصول على الحقوق في اسرع وقت. ثم ان مشهد المعرفة، ولو ظلت استعراضية، قد يؤثر على الاقل في زيادة مبيع المعاجم وغيرها من الكتب المرجعية، وفي ذلك خير لدور النشر، ولبيروت التي لا تزال عاصمتها ما دام لم يصدر تعميم يحذرنا من مغبة استعمال آلات الطباعة.

والاهم ان البرنامج الذي اطلق هذه الموجة في الفضاء العربي، اي "من سيربح المليون؟"، ليس سيئاً على الاطلاق، وهو ربما افضل من نسخ اخرى ل"المليونير" الاميركي، وذلك الى حد بعيد بفضل مقدمه جورج قرداحي الذي يجمع البشاشة بالجدية والطيبة ولا يتركك تشعر انه ينتظر استشارة الكومبيوتر ليحزر ان البيداغوجيا هي علم التربية وليس الأثار. واذا كان من مأخذ، فانها تأتي من شكل بعض الاسئلة "الصعبة" التي قد توحى ان المعرفة مسألة حظ ومن منحى متعمد الى تقديم الموروث الديني بوصفه ثقافة عامة. لماذا اذاً الريبة من تحول برامج المسابقات الى موضوع تسابق بين المحطات في لبنان؟ لا شك ان التجربة تلعب دورها هنا. والتجربة، تجربة التلفزيونات



اللبنانية، تؤكد انها متى اعتقدت انها عثرت على الفكرة الذهبية اطلقت المحدلة وتجاهلت ما تبقى من شبكة البرامج. وتأكيداً لهذه السمعة السيئة، يتزامن اجتياح الالعاب مع استسهال ادارات التلفزيونات الرضوخ لطبائع الاستبداد، ومع اقضاء السياسة اللبنانية عن بعض الشاشات وحصرها في اوقات لا تقلق شرطة الاعلام او "نفي" المهتمين بها الى "فضاء" آخر، او تسخيفها من خلال الايحاء ان الحوار مجرد لعبة، وان لم يكن عند المتبارين في هذه اللعبة الاخرى حاجة لربح نصف مليون دولار نقداً.

|| مشاهدات تلفزيونية بلا رقابة. على محطة "التاريخ" بالفرنسية، مانفريد روميل، ابن الماريشال روميل، يتذكر وصول هتلر الى الحكم: كانت الصحف ملىء باخبار المناكفات السياسية، تُصور السياسة والنظام البرلماني انحطاطاً. وفجأة، لم يعد هناك من مشاحنات وصار الزعيم فوق الجميع وبدا كل شيء على ما يرام. على المحطة نفسها، تحقيق عن ادغار هوفر، "الشرطي الاول" في الولايات المتحدة طيلة اربعة عقود: كان مؤسس المكتب الفديريالي للتحقيقات مهووساً بالصورة، يغار ممن يخطف منه الاضواء ويطلب من شركات الانتاج السينمائية تمجيد رجل الامن. شيء واحد تركه هوفر بعيداً عن الواجهة: حياة خاصة مليئة بالعقد النفسية.

||| مادة للتلفزيون لن يستفيد منها: "ليس لدى الكولينييل من يرأسه!" القصة المنشورة في "الملحق" (٢٠٠١/٩/١) مؤلفها مجهول وابطالها مغفلون. تصلح كسيناريو لمسلسل درامي-هزلي، طبعاً في محطة فضائية بعيدة. لكنها قد تقيد هنا برامج الالعاب: من هو النائب كانداليرا؟ والوزير خوان لويس؟ والوزير الآخر المولع بالنجوم الصفراء؟ اسئلة لن تُطرح، فمن اين يأتي المتبارون بهذه المعرفة؟ اكيد ليس من التلفزيون بعد الآن.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000723	
Media	(Support)	HC
Title		طبائع الاستسهال
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٩/٣ 3/9/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	مانفريد.روميل – خوان.لويس – ادغار.هوفر – جورج.قرداحي
	Locations	لبنان – ولايات.متحدة
	Dates	
	Themes	لبنان – برامج.تلفزيونية – قنوات.عربية – فضائيات.عربية – تلفزيونات.لبنانية – ولايات.متحدة – سينما.اميركية
Subject		